

التحليل النصي في نماذج من مقامات الرّمخشري في ضوء معيار الاتساق

نور الحانيلة بنت محمد إسماعيل، عبد الله نايف العنبر*

ملخص

يسعى هذا البحث إلى استجلاء معيار الاتساق في نماذج من مقامات الرّمخشري، ويتولى صياغته في منهجية مقترحة تراعي طبيعة النصّ الأدبي النثري (المقامات). وتبرز هذه المنهجية الخصائص النحوية، والمعجمية، والبلاغية العامة. تناول البحث مظاهر الاتساق من منظور الغربيين في نحو النصّ، والتراث العربي القديم، واهتمّت مظاهر الاتساق المتجسّدة بعنصر الوصل، والفصل، والحذف، والاستبدال، والإحالة، والاتساق المعجمي، وأوضح البحث أهمية الاتساق في تفسير نصّ المقامات، وبيان مقصوده لدى المتلقي. تبيّن من خلال تحليل مظاهر الاتساق في ضوء نحو النصّ أنّ التراث العربي اللغوي تراث يهتم بدراسات عميقة لمظاهر الاتساق في النصّ. واتّضح في البحث أنّ مظاهر الاتساق تتّصف بمرونة في التّطبيق. وقد أبرز البحث مناسبتها للنصّ الأدبي لا سيّما نصّ المقامات.

الكلمات الدالة: مقامات الرّمخشري، نحو النصّ، الاتساق، منهجية التحليل، تطبيق المنهجية.

المقدمة

فمفهوم المقامة إذن كما يرى البحث جنس أدبي نثري موضوعها يتغير حسب الظروف المحيطة بها، حيث إنّها تتكيّف وتستند إلى التّصورات المعينة مع الزمن المعين، وتساق بأسلوب لغوي عالٍ. فنّ المقامة هو فن مستقل، له خصوصية معينة وله نشأته خاصّة ولا يشبه فنّاً آخر. ولذا يرى البحث أنّ فنّ المقامة هو فن مستقل، له خصوصية معينة وله نشأته خاصّة ولا يشبه فنّاً آخر مثل قصّة قصيرة كما ادّعاها يوسف نور عوض (عوض، 1979م)، وزكي مبارك (مبارك، د.ت.) إذ عرّف أنّ المقامة قصّة قصيرة. فتعريف المقامة كما عرّفها هذان الباحثان يستند إلى الجانب الشكلي للمقامة. ولعلّ الذي يفضي إلى عدّ فنّ المقامات قصّة قصيرة بسبب بناء المقامة القصصية. ومهما كانت بعض المقامات بناؤها قصصي لا يجوز القول بأنّ فنّ المقامات هو نفسه قصّة قصيرة بمجرد النّظر إلى هذا الجانب، فالمقامة مقرونة ببعض النكتة الأدبية، واللغوية، وتأخذ عدّة جوانب في معالجتها لأمر حياتية معينة، وقد تتحكّم الصنعة في سبكها. وهذا ما يميّزها عن بقية من النثر الأدبي.

وكانت كلمة المقامة قد نسبت إلى الهمداني في طرزها ورسومها وتلاه الحريري، (أبو محمد القاسم بن علي الحريري، ت 516هـ) الذي نسج على منواله، وألّف مقاماته المشهورة بنمط تجاوز فيه استاذة (البديع) في التّصنيع اللّفظي، والسبك، والموضوعية. (حسن، 2008م).

وقد ألّف عدد واسع من المتأخّرين على مدّ التاريخ

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛
فقد ظهر فنّ المقامات في القرن الرابع للهجرة - في أواخر العصر العباسي-، واقترن اسم بديع الزّمان الهمداني (ت 398هـ) بهذا الفن لكونه أوّل من ألّف فيه. فالمقامة بمعناها اللغوي "المجلس، ومقامات النّاس: مجالسهم." (ابن منظور، 1994م). وأصبح هذا المعنى اللغوي يتطوّر إلى اصطلاح جديد على مرّ العصور حيث يغدو معناها: "...حكاية أدبية قصيرة يدور أغلبها حول الكدية، والاحتيال لجلب الرّزق، وتشمل على نكتة أدبية تستهوي الحاضرين." (عوض، 1979م). فمدلول كلمة مقامة يتغير حسب الظروف في كل عصر استخدمت فيه، وعلى سبيل المثال في العصر الجاهلي الذي يتمسك مجتمعه بالقبيلة أو الطائفة كان مدلولها اجتماعياً، وفي عصر الإسلام، والدولة الأموية اتجهت المقامات اتجاهاً دينياً يهتم بالوعظ والإرشاد بسبب تغلب النزعة الدينية. (جمعة، 1980م). أمّا في العصر العباسي الثاني فمدلولها أدبي لتعدّد ألوان الأدب الشّعري والنثري واتّجاه الأدب إلى التّفنن والإغراق في المحسنات. (جمعة، 1980م).

* قسم اللغة العربية، كلية اللغات والإدارة، الجامعة الإسلامية الدولية، ماليزيا، وقسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحث 2016/5/3، وتاريخ قبوله 2016/6/28.

نص المقامات، ومنها ما يتخذ من الرّمخشري نموذجاً لها، ومنها: رسالة ماجستير بعنوان: "التأويل في شرح مقامات الرّمخشري ليوسف بقاعي"، (ليمان، 2012م) لشعبة ليماني، جامعة مولود معمري تيزي وزو 2012م، تناولت الباحثة فيها آليات التأويل في شرح مقامات الرّمخشري عند العرب والغرب. وهذه الدراسة وإن كانت لها صلة بموضوع هذا البحث إلا أن الباحثة لم تتطرق لمعالجة قضية الاتساق النصي في مقامات الرّمخشري وإنما درستها من الناحية التأويلية لقراءة هذه المقامات.

وجاءت دراسة باي هونغ وي عن: "مقامات الرّمخشري، دراسة تحليلية" (وي، 1997م)، وهي دراسة ماجستير تناول الباحث فيها المضمون في هذه المقامات، والبناء الفني لها، والمحسّنات البديعية التي استخدمها الرّمخشري. ويستفيد الباحثان من هذه الدراسة كثيراً في فهم بعض مقامات الرّمخشري بوجه عام، غير أن الباحثين يركّزان على معيار الاتساق.

أولاً: نحو الجملة إلى نحو النص

غدت المجالات اللغوية في الآونة الأخيرة تهتم بدراسة النص وبحثه مثل؛ علم النص، أو لسانيات النص، أو لسانيات الخطاب، أو نحو النص، وكلها تقوم بالتحليل اللغوي تحليلاً مجاوزة الجملة، وهو وثيق الارتباط بعلم اللغة العام، وتعريف نحو النص "هو ذلك الفرع من فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك (الاتساق) ووسائله، وأنواعه، والإحالة، أو المرجعية وأنواعها، والسياق النصي، ودور المشاركين في النص (المرسل والمستقبل)، وهذه الدراسة تتضمن النص والسياق المنطوق، والمكتوب على حدّ سواء" (الفقي، 2000م). ويوافق الباحثان على هذا المفهوم غير أنّ تركيز نحو النص - في رأي الباحثين - أكثر على المتلقي من منشئه، بحيث إنه الذي يقوم بعملية تحليل النص، وهو بهذا الصدد سينظر إلى النص باعتباره الوحدة الكبرى، ويعمد على السياق في مقامه الأول، ومن ثمّ عملية التأويل مهمة جداً في نحو النص مع الأخذ بعين الاعتبار التنظيم الداخلي للنص بما يعترضه من الإحالة، والوصل، والحذف، والاستبدال، والاتساق المعجمي. وتجدر الإشارة إليه أنّ نحو النص مهامه كبيرة في استجلاء النص مجالاً للدراسة، ويتمّ ذلك من كشف علاقات داخل النص وخارجه ممّا يتطلب السياقات المختلفة في عملية تحليل النص. ومن ثمّ، يمكن لنحو النص أن يقدم تفسيراً مقنعاً لكثير من الظواهر التي لا يمكنه نحو الجملة القيام بها لأن نحو النص ينظر إلى النص بشكل شامل.

موضوعات مختلفة في المقامات، ومنهم الرّمخشري؛ كاتب الكشّاف. اسمه محمود بن عمر بن محمد، وكنيته أبو القاسم (الذهبي، 1985م)، ولقب بجار الله (الفيروز آبادي، 1987م)، وله لقب آخر وهو "فخر خوارزم" وتستخدمه معظم المصادر عندما تشرع بالحديث عنه (الحموي، 1993م).

وحياة الرّمخشري: ولد بزّمخشر في يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة 467هـ (البغدادي، 1982م). قد ألف الرّمخشري كتباً كثيرة، ومنها؛ الكشّاف، وأساس البلاغة، والأسماء في اللغة، والأجناس، وأطواق الذهب، وأعجب العجب في شرح لامية العرب، والأمال في النحو، والأنموذج في النحو، وتسليية الضرير والمفصل، ومقامات الرّمخشري، ومقدمة الأدب، ونزهة المستأنس، والنصائح الكبار، ونكت الأعراب في غريب الإعراب، ونوابح الكلم (السامرائي، 2009م). توفي الرّمخشري بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة للهجرة (538هـ) (السيوطي، 1979م).

ومن الملاحظ أنه ابتعد عن مفهوم فنّ المقامات إذ يتناول موضوع الوعظ والوعظة في كل مقاماته ويترك الموضوع الأساسي لفن المقامات وهو الكدية. وكان هدفه في ذلك للإرشاد والنصيحة. ومن عنوانات مقاماته: مقامة المرشد، والتقوى، والحدز، والإرعاء، والزاد، واجتتاب الظلمة، والنصح، والمراقبة، والندم، والطاعة، والعبادة، والنهجد، وغيرها كثير (الرّمخشري، 2004م). وهذه المقامات ما هي إلا مناجاة الرّمخشري لنفسه بكونها نصيحة للآخرين بأن يتركوا كلّ شر. وقد استعمل الرّمخشري في بناء مقاماته الصنعة البلاغية، والزخرفة اللفظية، والسجع ذا المقاطع القصيرة، واختياره للألفاظ، وانتقائه لغريب الكلمات (حسن، 2008م).

ويمكن القول بأنّ مقامات الرّمخشري لم تخرج عن مقامات من سبقه في السمة الفنيّة والبناء العام غير أنه قد تناول موضوعات الوعظ والوعظة في المقام الأول. وعليه، يهدف هذا البحث لاستجلاء معيار الاتساق في مقامات الرّمخشري حيث يتناول مظاهر الاتساق ومزجها بين التراث العربي ونحو النص بما يتناسب مع مقامات الرّمخشري بوصفها نصاً أدبياً عربياً. وممّا يدفع الباحثين إلى دراسة المقامات، فإنّ الناظر في الدراسات في هذا المجال يُلاحظ أنها قليلة، وقد اختار البحث مقامات الرّمخشري لقصرها ممّا يسهل القيام بعملية تحليل النص.

الدراسات السابقة

هناك عدد من الدراسات السابقة في مقامات الرّمخشري، وقع الباحثان على بعضها، هذه الدراسات منها ما يركّز على

وهذه العناصر سيطبق عليها هذا البحث في تحليل نماذج من مقامات الرّمخشري.

1- الوصل والفصل

يعدّ الوصل من مظاهر الاتّساق فهو يحدد الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم، (الشقران، 2015) ولكن طبيعته تختلف عن وسائل التماسك الأخرى (الإحالة، والاستبدال، والحذف). ووظيفة الوصل هي تقوية العلاقة بين الجمل، وجعل المتواليات مترابطة متّسقة.

يشير مفهوم الرّبط أو الوصل لدى دي بوجراند، وهالدي، وفان ديك ويول وبراون وغيرهم إلى العلاقات التي بين المساحات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات. وقد تناول دي بوجراند مثلاً التّفرّيع subordination الذي يشير إلى أنّ العلاقة بين صور من المعلومات هي علاقة التّدرّج؛ حيث يتوقّف تحقق إحداها على حدود الأخرى ويمكن أن تقع هذه العلاقات المختلفة بين صور المعلومات في الغالب دون التصريح بوسيلة الرّبط، ومن الروابط الملفوظة في الإنجليزية: and, or, but, because وهكذا. (دي بوجراند، 1998). كما تناول أيضاً الصور التي تترابط داخل النّص بمطلق الجمع: الواو، وبالإضافة إلى، وفضلاً عن ذلك"، وكذلك يتناول الاستدراك: "لكن، وبل، ومع ذلك.

والملاحظ أنّ هذه العلاقات بين الجمل يتمّ الرّبط بينها داخل النص ويتم الرّبط بين المعلومات لتقوية الأسباب بين الجمل وكذلك لجعل هذه الجمل المتتاليات مترابطة لتساعد على اتّساق النص وفهمه لدى المتلقّي.

أمّا الفصل لدى الغربيين فمفهومه منطلق من أمور عدّة، منها التّرابط على المستوى السّطحي على وسائل لغوية ذات وظيفة مشتركة والتّماسك بين الجمل أو المتتاليات بالقواعد والأبنية التّصورية التّجريدية. (علي، 2013م).

قد ارتبط الفصل والوصل في التّراث العربي القديم بالبلاغة ارتباطاً وثيقاً. وقد لوحظ أنّ الجرجاني، والزّمخشري، والسّكاكي قد أعادوا تشكيل مادة الوصل والفصل بطريقة مختلفة عمّا ذكره الذين سبقوهم، ومن ذلك ما ذكره الجرجاني من أنّ الوصل يمكن في أمور عدّة، منها: (الجرجاني، 1994)

- صل الواو بين الأشباه والنظائر
- وصل الواو بين النّقائض لعلاقة
- عدم انحصار الوصل في حروف العطف فقط
- كون الوصل في المفردات مدخلاً لمعرفة الوصل في الجمل
- وصل مجموع جمل بمجموع جمل أخرى بحيث يؤتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة أو جملتين

ومهما يكن من أمر، لا نستطيع أن ننكر بأنّ نحو الجملة يمثّل القرائن في نحو النّص إذ لا يتسنى لنا أن نقوم بعملية تحليل النّص دون النّظر إلى الكلمة والجملة، فالنّظر إلى النّص يبدأ بالنّظر إلى الجملة، وها هنا يبرز دور دراسات نحو الجملة، فدراسة نحو النّص دون النّظر إلى نحو الجملة أمر مستحيل، لأنّ الجملة المدخل الحقيقي لدراسة النّص، غير أنّ نحو النّص قادر على القيام بعملية التحليل في نطاق أرحب وأوسع من نحو الجملة وذلك من خلال تفسير العلاقات بين الجمل والأخذ بعين الاعتبار السياقات داخل النّص وخارجه.

وفي صدد ذكرنا عن نحو النّص، فنّمّة معايير نصيّة وضعها العالمان المشهوران في مجال نحو النّص وهما "دي بوجراند" De Beaugrande و"درسلر" Dressler حيث يريان "أنّ النّص حدث تواصلية، يلزم لكونه نصّاً أن تتوافر فيه سبعة معايير نصيّة مجتمعة، وهي: الاتّساق، والانسجام، والمقصديّة، والإعلامية، والمقامية، والتّقنيّة، والتّناص. (De Beaugrande and Dressler, 1981)

فنّمّة أنظار عامة يضعها الباحث النّصيّ بينه عند معالجة أي نص، ومن هذه الأنظار: التّماسك النّصيّ، وقد ذكر محمد خطّابي أنّ "اتّساق النص وانسجامه - وهما ركنا التماسك النصي - يحتلان موقعا مركزيا في جميع الدراسات التي تبحث في تحليل الخطاب ونحو النص، ولا نكاد نجد واحدة منها تخلو من هذين المفهومين أو من أحدهما." (خطّابي، 1988م) وليس من منهجية البحث أنّ نقارب ركني التّماسك النّصيّ في هذا البحث، ولذا سنكتفي بعرض مظاهر الاتّساق أو وسائله للتحليل النّصيّ. ومظاهر الاتّساق كالاتي: الوصل، والفصل، والإحالة، والاستبدال، والاتّساق المعجمي (التكرار، والتضام) والحذف في تحليل نماذج من مقامات الرّمخشري.

ثانياً: مظاهر الاتّساق بين القدامى العرب والمعاصرين

يختصّ الاتّساق بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النّص "surface text"، ويقصد بظواهر النّص الأحداث اللغوية التي تنطبق أو تكتب والتي تنتظم في شكل مبان نحوية، وهي لا تشكل نصّاً إلا إذا تحقّق لها من وسائل الاتّساق ما يجعل النّص محتفظاً بكيونته واستمراريته. (ويقصد بالاستمرارية: التزام النّص من بدايته حتى نهايته موضوعاً واحداً، وعدم انقطاعه إلى موضوع آخر)، كما أشار بعض العلماء مثل "هيلميسليف" إلى أنّ التّماسك يعني "الصلابة والوحدة والاستمرار." (البطاشي، 2014م) ومن أهمّ العناصر التي تمثّل الاتّساق: الفصل، والوصل والحذف والإحالة، والاستبدال، والاتّساق المعجمي (Halliday and Hassan, 1979).

- العطف على جمل الحال

- جمل الشرط المعطوفة على جمل الجزاء

- العطف على جواب الشرط بالواو

وأما الزمخشري فقد رسم منهجاً في معالم الفصل والوصل وجمالياته، والتزم فيه منهجية أساسها تعريفه للوصل والفصل وأدواته وأغراضه، وتقسيمه للوصل إلى لفظي ومعنوي. (الزمخشري، ج3، 1996م). ثم جاءت بعد ذلك مرحلة السكاكي في المفتاح والخطيب القزويني الذي لم يخرج عما جاء به السكاكي ولم يأت بجديد حيث تشعب المصطلح والخلافات الجانبية. (علي، 2013م).

ويتضح لنا ممّا سبق في فضايا الفصل والوصل أنّ لها دوراً مهماً في اتّساق النّص وفهمه لدى المتلقّي لكون العلاقة القائمة بين الجمل لا تحتاج إلى روابط أحياناً، وقد تكون هذه الروابط إن استخدمت، لفظية أو معنوية.

فيمكن القول بأنّ النّص في العربية يتضمن النظام الذي يجري عليه الائتلاف بين مكونات الجمل، وبين الجمل بعضها بعضاً حتى ينشأ المعنى الدلالي الذي يستفاد منه، وهذا الائتلاف يتم بوساطة ظاهرتي الارتباط والربط، كونه اصطناعاً لعلاقة نحوية سياقية بين معنيين، تتحقق باستعمال واسطة متمثلة في أداة رابطة تدلّ على تلك العلاقة، أو ضمير بارز عائد، وقد يكون اتّساق النّص بعلاقات أخرى تربط بين المفردات أو بين الجمل عبر الحذف الذي يؤدي دوراً في تماسك النّص بإشارته إلى علاقة داخل الجملة، وبفقد الحذف الوصل عندما يكون ثمة علاقة بين جملتين داخل النّص، حذف منهما كلمة سواء أكانت فعلاً أم اسماً تشير إلى علاقة إحداها مع الأخرى. ومثل على ذلك: "أحب هذه الحقيبة أكثر من النظارة"، وتقدير الكلام: أحب هذه الحقيبة أكثر من أن أحبّ النظارة، فتحذف كلمة "أن أحبّ" لضمان تماسك النّص.

2- الحذف

الحذف هو إسقاط لغوي ويتضمّن هذا المصطلح إكمال القول اللفظي بالجزء الغائب عن طريق التّأويل أو الافتراض الدّهني، وعملية التحويل من البنية العميقة إلى السطح هي التي تبرز العنصر الناقص هذا في حالة الحذف المقامي، على حين يكون الوضع في الحذف المقامي بحذف عنصر أو أكثر من العناصر اللغوية المكررة في السّياق النّصي، والتي يمكن تحديدها اعتماداً على القرائن اللفظية المصاحبة، والحذف في كلتا الحالتين إحلال صفري لعنصر أو تركيب لغوي.

(الخالدي، 2014م)

وللحذف أشكال عدّة، يصرّح بها ابن جنيّ في قوله: "وقد حذف العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء

من ذلك إلّا دليل عليه، وإلّا كان به ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته." (ابن جنيّ، د.ت.) والملاحظ أنّ أشكال الحذف في التّراث العربي بعضها يتّفق مع الغربيين في اتّساق النّص، ويرتبط الحذف أيضاً بالاستبدال إذ يشير المحذوف إلى شيء سابق عبر بعض لوازمه المذكورة في النّص، وهذه الإحالة أو الإشارة إلى سابق يتشابه مع مفهوم الإحالة التي تساعد على ترابط عناصر النّص من المتتاليات. فالحذف عامل من عوامل التماسك النّصيّ وذلك حين يقوم المخاطب/ المتكلّم بدمج أحد العناصر اللغوية في السّياق ثمّ يحذفه اعتماداً على فهم المتلقّي، ففي بعض السّياقات يمكن حذف كلمة أو عبارة بدلاً من تكرارها.

3- الإحالة

تعدّ الإحالة من أبرز مفاهيم علم اللغة النّصيّ، لأنّها من أقوى وسائل الرّبط ليس على مستوى التراكيب المتقاربة وحسب (بحيري، 1995م)، وإنّما تتخطى ذلك إلى الرّبط بين الأجزاء المتباعدة في فضاء النّص (بحيري، 1995م)، والعلاقات بين العبارات، والأشياء، والأحداث، والمواقف في العالم الذي يدلّ فيه بالعبارات ذات الطّابع البدائلي في نص ما، إذ تشير إلى نفس عالم النّص (بوجراند، 1984م). تتمثّل وسائل التماسك الإحالية في ثلاث: الضمير، والإشارة، وأدوات المقارنة. (قطب، 2014م) فالضمائر في العربية تنقسم إلى ثلاثة أنواع وهي: الضمائر الدالة على المخاطب، والضمائر الدالة على المتكلّم، والضمائر الدالة على الغيبة. كلّ هذه الضمائر تؤدي دوراً مهماً في اتّساق النّص من خلال علاقة الضمير بما يُحيل. أمّا أسماء الإشارة، فهي النوع الثّاني من وسائل التماسك الإحالية وهي تقوم بالرّبط القبلي والبعدى.

وقد تناول المتقدّمون العرب مثل الزمخشري الضمائر وأسماء الإشارة في عملية تحليل النّص القرآني، وذلك في قوله تعالى: {واستعينوا بالصّبر والصّلاة وإنّها لكبيرة إلّا على الخاشعين} (البقرة: 45)، وممّا يلاحظ أنّ الزمخشري في تحليل هذه الآية يشير إلى "أنّ الضمير للصّلاة أو للاستعانة، ويجوز أنّ تكون لجميع الأمور التي أمر بها بنو إسرائيل ونهوا عنها من قوله {اذكروا نعمتي} إلى {واستعينوا}" (الزمخشري، 1986م) ويبيد أنّ الإحالة بالضمير في هذه الآية يتعدّد مرجعها بأنّ يعود مرّة إلى كلمة (الصّلاة أو الاستعانة) أو إلى خطاب سابق في الكلام والذي يتمثّل في الأوامر التي خوطب بها بنو إسرائيل.

وأشار الزمخشري إلى الإحالة بأسماء الإشارة عند تحليل هذه الآية القرآنية: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدًا وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أٰهَلَ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل

5- الاتساق المعجمي

المقصود بالاتساق المعجمي وجود مفردات تتلاءم مع ما يناسبها من مفردات أخرى في السياق اللغوي. (عمر، 1402هـ) وعلاقات هذه المفردات تسير في وجهتين؛ التّقابل، مثل: الضوء والظلام، والداخل والخارج... والتراكم والتكامل، مثل: الشّعر والشاعر، الحيوان والإنسان، الأكبر والأوسط والأصغر... (مفتاح، 1992م، ص 57-698) وفقاً لقصده المتكلم، وهذه العلاقات تؤدي إلى اتساق النص، وتقريب المعنى المراد من المتلقي.

يرى الباحثان هاليدي ورقية حسن أن الاتساق المعجمي ينقسم إلى قسمين:

أ. التكرار أو التكرير (Reteration) أو (Recurrence).

والتكرار شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو وجود مرادف له، أو شبه مرادف، وكانت صور الروابط التكرارية على النحو الآتي: (دي بوجراندي، 1998)

- التكرار المحض (التكرار الكلي)، وهو نوعان: التكرار مع وحدة المرجع، والتكرار مع اختلاف المرجع.
- التكرار الجزئي، ويقصد به تكرار عنصر سبق استخدامه ولكن في أشكال وفئات مختلفة.
- المرادف.
- شبه التكرار. وهو أقرب إلى الجنس الناقص.
- تكرار لفظ الجملة

أما التكرار في التراث العربي القديم، فيدور حول موضوع الإطناب الذي يعدّ ظاهرة تركيبية تقابل الحذف والإيجاز. (علي، 2013م). ويتضح مما سبق أنّ التكرار هو عملية إعادة جزء من أجزاء الكلام، وهذه إعادة إما أن تكون باللفظ والمعنى أو أن تكون بالمعنى دون اللفظ فهو يساهم في إيراد التماسك النصي داخل الخطاب من حيث الرجوع إلى الكلام الأول كلما أحسّ المنشئ بضرورة ذلك، والتكرار شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف على أن يكون ذلك وفق نسق ترتيب وإلا فإن وروده عشوائياً يفضي إلى العبث الملل.

ب. التّضام (Collocation)

مفهوم التّضام لدى الغربيين هو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً إلى ارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك، وقد تناول هاليدي ورقية حسن ذلك في المثال الآتي: "ما لهذا الولد يتلوى في كل حين وفي كل وقت؟ البنات لا تتلوى". فالولد والبنات ليسا مترادفين لكن ورودهما في الخطاب يساهم في الترابط أو النصية بين الجمل، ولذا، يمثّل التّضام علاقة

السّبع إلا ما ذكّيتم وما ذبح على النّصب وأنّ تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق} (المائدة: 3). ف{ذلكم فسق} إشارة إلى الاستقسام أو إلى تناول ما حرّم عليهم؛ لأنّ المعنى حرّم تناول الميتة وكذا وكذا. (الرمخشري، 1986م) وهكذا فالإشارة تحيل إلى شيء قريب الذّكر في النّص أو إلى شيء بعيد الذّكر، كلّ ذلك يساهم في أن يكون النّص متسقاً مشدوداً بعضه إلى بعض.

أما النوع الثالث من وسائل التّماسك الإحالية فهو أدوات المقارنة، وتنقسم إلى: عامة وخاصّة. فالعامة منها: التّطابق، ويتمّ باستعمال عناصر مثل: نفس (same)، والتّشابه، وفيه تستعمل عناصر مثل: مشابه (similar)، والاختلاف باستعمال عناصر مثل: من ناحية أخرى، الآخر (otherwise, other). أمّا الخاصّة فتتفرّع إلى: كمّيّة، وهذه تتمّ بعناصر مثل: أكثر، أقل (More, Less)، وكيفية تتمّ بعناصر مثل: أحسن، أجمل، جميل... (قطب، 2014م).

ومن الملاحظ أنّ كلّ هذه الوسائل الإحالية تساهم في اتساق النّص، فلا بدّ لقارئ النّص إذا ما وصل إلى عنصر إحالي أن يرجع إلى الجمل السّابقة له حتّى يصل إلى مفسّر هذا العنصر الإحالي. وهكذا يتمّ الرّبط بين الجمل ليحدث الاتساق في النّص.

4- الاستبدال

الاستبدال صورة من صور التّماسك النّصي ويكون الاستبدال على المستوى النحوي المعجمي بين كلمات وعبارات، أو هو تعويض عنصر بعنصر آخر داخل النّص، وقد يكون الاستبدال يرتبط ارتباطاً بين مكونين من مكونات النّص يسمح لثانيهما أن ينشط هيكل المعلومات المشتركة بينه وبين الأوّل، وقد يشمل مجالاً غير مجال الضمان والأدوات كالعلاقات المفهومية، مثل: فكرة العموم والخصوص بين الأقسام الفرعية، والأقسام العليا، والكليّة والجزئية والسببية والقرب. (خطابي، 1988)

ولتقريب هذه الفكرة من درجة الوضوح نأخذ من العربية هذا المثال كقوله تعالى: {فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا...} (سورة البقرة: 60)، وتقدير هذه الآية: فضرب، فانفجرت اثنتا عشرة عينا. وبذلك، فإنّ جملة جواب الطّلب، التي تقتضي العرف التّحوي أنّ تذكر حذف، ووضعت بدلاً منها جملة أخرى ترتبط بالجملة المحذوفة، بعلاقة سببية كان قد أشير إليها في السّابق. (خليل، 2010م، ص 265) ومن الملاحظ أنّ الاستبدال يلعب دوراً مهماً في ترابط النّص واتساقه ويجعل المتلقي يتفاعل مع النّص من خلال محاولته في الرّبط بين الجمل، فالاستبدال يكون رابطاً يحقّق التّماسك النّصي ممّا يعين المتلقي على فهم النّص حين يستبدل فيها عنصر بأخر بسبب المعنى المشترك في المستبدل والمستبدل.

الزّمخشري بالتزام الخير، ويحذر من الشر كما يدعو إلى تهذيب النفس. وشجّع الزّمخشري أيضًا على أن يخلص النية في الأعمال وأن يبتعد عن الصغائر لأنّ الذي يدعو للضلال كمن لسعته حية فلا ينفعه الدواء، ويدعو صاحب المقامة - الزّمخشري - إلى الالتزام بأوامر الله لعله يفوز بما يرجو.

وسائل الاتساق:

الوصل:

هناك وصل في الجمل "..." وإنّ خصال السوء..."، حيث وردت أداة الوصل (الواو) التي تصل بين الجملة السابقة "..." وإنّ خصال الخير..." والجملة بعد الواو، وهذا يثبت العلاقة بين صور المعلومات في الجملتين: "..." وإنّ خصال الخير..."، وإنّ خصال السوء...".

وفي موقف نصح الزّمخشري للنفس وجدنا متاليات من أداة الوصل (الواو): "أقبل على نفسك... وبصرها عاقبة الحذر..." وناغها بالندوة... وناغها إلى العمل... "..." وأجمها... "..." ويثلم يقينها. وحاسبها قبل أن تحاسب وعانتها قبل أن تُعانت... وأخلص اليقين، وخالص المتقين، وامش في جادة الهادين الدالين، وخالف عن بُنيات طرُق العادين الضالين." "واعلم أنّ الحامل على الضلال..." وجدوا فيما أجدى عليهم وانكمشوا..." "واحملها على شقّ غبارهم..." "وتفور ببعض ما ترجو." وسلسلة من متاليات أداة الوصل تجعل المتلقي يركّز على قراءة النص من أوله إلى آخره ويشعر بأنّه نصّ متسق.

والملاحظ أنّ الوصل قادر على الرّبط بين الجمل ويجعل المتلقي يتفاعل مع النصّ تفاعلاً جيّداً. ويتمثّل السّياق في الموقف الذي يفقه كلّ إنسان في اختيار بين الشّيين في حياته؛ الخير والشر، لكي يحسن استخدام العقل الذي أعطى الله له. فهذا النصّ ينظر إليه المتلقي عبر المعهود اللغوي الذي لديه حول النصّ؛ حيث ذكر الزّمخشري إنّ الخير شيء يحبه الناس وأمّا الشرّ فهو يكرهه الناس على القرب منه. وسيفهم المتلقي هذا الوعظ فيستخدم عقله حسن استخدام بالقيام بالأعمال الصّالحة، وتقوى الله.

وأما الوصل بين الجمل بالفاء من قول الزّمخشري: "إنّ خصال الخير كتفّاح لبنان.... فعليك بالخير..."، "إياك والشرّ فإنّ صاحبته..."، حيث ربطت هذه الأداة بين الجمل ودلّت على التعقيب؛ أي بعد أن يتحدّث الزّمخشري عن خصال الخير، كان يدعو المتلقي إلى الخير كما أنّه يحذره من الشرّ مع بيان عن صاحبه الدليل. فالعطف بين هذه الجمل يحقق اتساق النصّ لدى المتلقي وهو يربط الكلمات، والجمل، والفقرات حتّى يكون النصّ مسبوکاً كأنّه جملة واحدة.

معجمية بنوية تربط بين مفردتين تتلازمان في الاستعمال ممّا يساعد على ترابط النصّ واتساقه لدى المتلقي.

وقد تناول علماء العربية قديماً موضوع التّضام وعبروا عنه بمصطلح المطابقة في علم البديع، وتسمّى الطّباق والتّضاد، أمّا علماء البلاغة فهم تناولوا في هذا الإطار مفهوم الجمع بين معنيين يتعلّق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق، مثل السببية واللزوم، والجمع بين معنيين غير متقابلين، غير أنّهما بلفظين يتقابل معناه الحقيقين ويطلق على هذا النوع من الطّباق اسم: إيهام التّضاد، ويدخل بهذا النوع الطّباق بالتفسير، وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثم بما يقابل ذلك على الترتيب، فيكون داخلاً فيه، ويصدق عليه الجمع بين معنيين متقابلين فصاعداً، والمقابلة هي جمع المتقابلات، (علي، 2013م). وأمّا الطّباق فهو جمع المتقابلين فقط، ولذا قسم البلاغيون العرب المقابلة إلى أقسام، منها: مقابلة الاثنين بالاثنتين والثلاثة بالثلاثة... إلخ. (الخطيب، 1932م). ويتبدّى هنا أنّ التّضام مظهر من مظاهر اتساق النصّ وله دور كبير في تحقيق نصيّة النصّ.

ثالثاً: الدّراسة التطبيقية لمظاهر الاتساق في نماذج من

مقامات الزّمخشري

مقامة المرشد

يا أبا القاسم إنّ خصال الخير كتفّاح لبنان. كيف ما قلبتها دعناك إلى نفسك. وإنّ خصال السوء كحسك السعدان أتى وجهتها نهتك عن مسها. فعليك بالخير إن أردت الرّفوف في مطارف العزّ الأفعس، وإياك والشرّ فإنّ صاحبته ملتفت في أطمار الأذلّ الأتعس. أقبل على نفسك فسّمها النظر في العواقب. وبصرها عاقبة الحذر المراقب. وناغها بالندوة الهادية إلى المرشد. وناغها إلى العمل الرّافع والكلم الصاعد. وأجمها عمّا يكلم دينها. ويثلم يقينها. وحاسبها قبل أن تحاسب وعانتها قبل أن تُعانت. وأخلص اليقين. وخالص المتقين. وامش في جادة الهادين الدالين. وخالف عن بُنيات طرُق العادين الضالين. واعلم أنّ الحامل على الضلال. صيل اصلال. لسعته لا ينفعك منها الرّقي. إلا إذا كانت رقيتك التقى. سقى الله أصداء قوم هفوا ثم انتمشوا. وجدوا فيما أجدى عليهم وانكمشوا ويحك إخط نفسك بغمارهم. واحملها على شقّ غبارهم. فعمسيت بفضل الله تنجو. وتفور ببعض ما ترجو.

المعنى العام:

افتتحت المقامة بذكر الخصال الحميدة والتي شجّها الزّمخشري بتفاح لبنان لحسن طعمها وطيب رائحتها. أمّا الخصال السيئة فهي مثل الثّبات تأكله الإبل، ويدعو

الفصل:

طُرُقِ العاديين الضالين".

: قد طابق هنا بين (امش وخالف) و(الهادين الدالين والعادين الضالين).

وهذه الكلمات تلفت نظر المتلقي وتحمله إلى أن يواصل قراءة المقامة حتى نهايتها. وهذا التضام يجعل النص أكثر تماسكاً وقادر على أن يجعل المتلقي يستشعر بمدى أهمية فعل الخير وترك فعل الشر.

(2) التكرار:

والتكرار يعمل على زيادة ترابط النص واتساقه، فالرّمخشري عندما يكرّر صوتاً أو كلمة في هذه المقامة فإنما يعيد معها معناها. فلننظر تكرار كلمة خصال في قول الرّمخشري: "إنّ خصال الخير كتفاح لبنان. كيف ما قلبتها دعتك إلى نفسها. وإنّ خصال السوء كحسك السعدان أتى وجهتها نهتك عن مسها..." إذ أراد الرّمخشري من هذا التكرار أن يفرق بين خصال الخير والسوء. فتكرار كلمة خصال لشحن انتباه المتلقي في التركيز على مواصفات الخير والشر ومن ثم، سيحسن عقله في اختيار بينهما.

ونجد تكرار لفظ الخير وتديوره بين ثنايا الجمل يجعله نسيجاً واحداً لا ينفك المتلقي يخرج عن استمراره في التلقي لأنّ النص لا يزال مستمراً والمعلومات لم تكتمل فيضطر المتلقي إلى المتابعة. وبهذا يشعر المتلقي بأنّ النص مترابط بعضه ببعض، كما قال الرّمخشري: "إنّ خصال الخير كتفاح لبنان. كيف ما قلبتها دعتك إلى نفسها. وإنّ خصال السوء كحسك السعدان أتى وجهتها نهتك عن مسها. فليكن بالخير إن أردت الرّفول في مطارف العزّ الأفعس..."

وكذلك نجد تكرار كلمة "الرقى" و"النقى" في النص. وجاء هذا التكرار ليس عبثاً وإنما ليدلّ على أنّ النقى هو أعزّ شيء بالنسبة للمؤمن. ولولاه، لذهب كلّ خير:

... "السعته لا ينفعك منها الرقى، إلا إذا كانت رقيتك النقى".

- "خالص المتقين، إلا إذا كانت رقيتك النقى".

يفهم المتلقي قصد الرّمخشري في هذا الموقف بأنّ لسعة الحية لا ينفع شيئاً بل هو مضر. فلسعة الحية ليست حقيقية وإنما مجازية حيث تستعمل في الشخص الذي يدعو للضلال، فإنّه لا ينفعنا النجاح في الدارين: الدنيا والآخرة. وبهذا التكرار، سيجعل المتلقي يفهم النص بالدقة وسيؤثر في قلبه بأنّ اجتناب الصغائر أمر ضروري ولا ينفعه شيئاً منه، ومن هذا الفهم، سيجعل النص متسقاً بفضل هذا التكرار.

جانب آخر يلمح المتلقي - عند قراءة هذه المقامة - تكرار ضمير متصل (ها) الذي يرجع إلى النفس التي تدلّ على

لا نجد ثمة رابطاً لفظياً بين هذه الجملة: "سقى الله أصداء قوم هفوا ثم انتعشوا..."، وبين مقصود النص، إلا أننا نجد ثمة رابطاً معنوياً يتمثل في المعاني التي قصدتها الرّمخشري من هذه المقامة عن حرصه على القيام بالأعمال الحسنة وتحذيره للمسلمين عن اجتناب الصغائر، فالمسلم الذي يعمل الخير سيفرح الله سبحانه وتعالى همومه، وحرزته، وكرمه. فقلع هذه العبارة تربط هذه الجملة "سقى الله أصداء قوم هفوا ثم انتعشوا..."، وبين مقصود النص ربطاً معنوياً.

الإحالة:

تتمثل في عودة الضمائر المتصلة وهي: فليكن، ويحك: ك هنا "أبا القاسم-الرّمخشري-".

-أقبل على نفسك فسمها... وبصرتها... وناغها... ونادها إلى... وألجمها... يقينها، وحاسبها قبل أن تحاسب وعاتبها قبل أن تُعاتب: (ها) هنا "النفس"، إذ يلاحظ أنّ الرّمخشري يهتم بتزكية النفس وتصفيتها، ولذا ينادي المتلقي أو القارئ إلى حسن حمايتها وحفظها.

-وجدوا فيما أجدى عليهم وانكمشوا ويحك إخلط نفسك بغمارهم. واحملها على شق غبارهم. هم هنا "القوم". وكلّ هذه الضمائر تحيل إلى سابق، ومن الملاحظ أنّ الإحالة ذات المدى القريب أكثر وضوحاً، وأقلّ فائدة في إحداث الاتساق بين أجزاء النص، وذلك لأنها تتعدى نطاق الجملة وترتبط بين جمل متباعدة، فلا بدّ لقارئ النص أو المتلقي إذا ما وصل إلى عنصر إحالي أن يرجع إلى الجمل السابقة له حتى يصل إلى مفسر هذا العنصر الإحالي، وهكذا يتمّ الربط بين هذه الجمل ليحدث الاتساق بين أجزاء المقامة الواحدة.

الاتساق المعجمي:

(1) التضام:

وردت بعض الكلمات المتلازمة من حيث المعنى؛ فكلمة "الخير" ترد بجانب كلمة "السوء"، وتلازمهما يرد من ارتباطهما بعلاقة التضاد، وهذا يساعد على اتساق النص لدى المتلقي كقول الرّمخشري: "إنّ خصال الخير كتفاح لبنان، وإنّ خصال السوء كحسك السعدان." ومن مظاهر التلازم أيضاً أو التضام ورود زوج الكلمات المتقابلة:

- "فليكن بالخير إن أردت الرّفول في مطارف العزّ الأفعس، وإياك والشر فإنّ صاحبته ملتفت في أطمار الأذلّ الأفعس": قد طابق بين (الخير والشر) و(في مطارف العزّ الأفعس وفي أطمار الأذلّ الأفعس).

- "وامش في جادة الهادين الدالين. وخالف عن بُنيات

الصدمة من ارتكاب الذنب بما يعتريه من جعل أحدنا متبلاً، ويشبه ألم الذنب كجمرة وقطرة ماء مغلي أصابت جزءاً من جسده فألمته. والذنب هو الذي يستحق مرتكبه العقوبة، من صغائر الذنوب وكبائرها. إنه بعمله الذي يظن أنه يكسب به شيئاً لمصلحة نفسه، إنما يكسب به شيئاً يُنزل به على نفسه ضرراً وعقوبةً.

ويظهر من النص إشارات إلى أن الذي يتهاوى إلى الدنيا وارتكاب المعصية سوف يعذب في الآخرة، وهذا المقصود من النص أكده السياق عبر تكرار السؤال من أجل توكيد هذه الحقيقة لدى المسلمين بأهمية ترك المعاصي ورجبتهم عن الحصول على مطالب الحياة الدنيا.

مظاهر الاتساق:

الوصل:

غلبت على هذه المقامة حروف العطف؛ إذ نلاحظ استخدامها في حروف "أو"، و"و"، و"أم"، و"ثم". وحضور حروف العطف وبروزها في هذه المقامة يجعلان النص نصاً متسقاً، ومن الملاحظ أن حرف العطف "أو" عطف معنى تعلق النفس بجمرة، على إصابة النفس قطرة من الماء المغلي، حيث شبه الزمخشري ألم الذنب كجمرة أو قطرة ماء مغلي أصابت جزءاً من جسده فألم: (يا أبا القاسم أجزر نفسك إن تعلقت ببعض أطرافها جمرة، أو أصابته من الماء المغلي قطره). وبعد ذلك راح يتوغل في توظيف هذا الحرف "أو" في تساؤله عند الصدمة بفعل الذنب الذي ارتكبه، فهل يتم لأحدنا أن نفكر في مواضيع مهمة طالما كان عقلاً مشغولاً بالتفكير بها، ويفهم المتلقي بأن الصدمة من أثر الذنب جعلت أحدنا عاجز الوعي والانتباه وشارد الذهن ولا يرى أحداً، ولا يهتم لأمر أحد: (هل تتم عند صدمة ذلك لأن تقلب فكرياً في خطب مهم؟ أو ترفع رأساً لحبيب ملء؟ (أو تلقي سمعاً إلى ما تتهاوى إليه الأسماع...)) (أو ترمي إلى أحب خلق الله إليها بطرف؟)، وبهذا حرف عطف "أو" في هذه الجملة، سيرى المتلقي اتساق النص في هذه المقامة حيث إنه يربط الجمل بعضها بعض.

وكذلك يلفت انتباه المتلقي توظيف الزمخشري حرف عطف "و" في القسم الأخير من هذا النص حول الصدمة - من الذنب-: بأنها أنستنا حكماً لشعوب الأرض جميعاً في الشرق والغرب: (كلا ولو كنت ممن يعطف الأعتة بإصبع، ويتبسّط في مهاب الرياح الأربع لشغلك التألم عن كبرياء سلطانك، ولأدرج تلك الأعتة تحت مطاوي نسيانك).

ويستمر الزمخشري في استخدام هذا الحرف كأدوات الربط بين الجمل للبيان عن كل من الجمرة والقطرة؛ وعلى الرغم من صغرهما وقليل قدرها إلا أنها أنستنا جميع أمورنا التي كنا نفكر

اهتمام الزمخشري بالنفس وهي التي تفرق بين الشر والخير: "أقبل على نفسك فسمها النظر في العواقب. وبصرها عاقبة الحذر المراقب. وناغها بالذكورة الهادية إلى المرشد. ونادها إلى العمل الزافع والكلم الصاعد. وأجمها عما يكلم دينها. وبتلم يقينها. وحاسبها قبل أن تحاسب وعاتبها قبل أن تُعاتب." فصراع كل إنسان مع نفسه بين الخير والشر أمر لا غبار له. ولذا، بدا للمتلقى هذا التكرار في هذه المقامة ويدعو صاحب المقامة - الزمخشري - إلى حسن اختيار بين الخير والشر. والنفس هي القلب التي تكمن فيها مواطن الكتمان. ومن ثم يجب حفظها في كل وقت.

مقامة الحذر

يا أبا القاسم أجزر نفسك إن تعلقت ببعض أطرافها جمرة. أو أصابته من الماء المغلي قطره. هل تتم عند صدمة ذلك لأن تقلب فكرياً في خطب مهم. أو ترفع رأساً لحبيب ملء. أو تلقي سمعاً إلى ما تتهاوى إليه الأسماع. وتتقاذف نحوه القلوب والطباع. أم بها في تلك الوهلة ما يشغلها عن أن تتطرق في شأن يعينها بحرف. أو ترمي إلى أحب خلق الله إليها بطرف. كلا ولو كنت ممن يعطف الأعتة بإصبع. ويتبسّط في مهاب الرياح الأربع لشغلك التألم عن كبرياء سلطانك. ولأدرج تلك الأعتة تحت مطاوي نسيانك. هذا وإن الجمرة والقطرة كلتا هما هنة يسيره. ومدة إيلامها ساعة قصيرة. ثم إنها على ذلك لتسيك جميع ما هممك إليه عائرة. وأفكارك عليه دائرة. وتشخص بك عن المضجع الممهود. وتطلق حبوتك في المحفل المشهود. فإنا الله التي حسبك ما سمعت من فطاعة وصفها وهولها. وكفالك فيها ما قاله الصادق المصدوق في قوله: وأفظع ذلك كله أن عذابها أبد سمرّد. ليس له منتهى ولا أمد. هلا جعلتها ممثلة قدام ناظريك كأنك تشاهد عينها. وكأنه لا برزخ بينك وبينها. إن كنت كما تزعم بما نطق به الوحي مؤمناً. وكما تدعي بصحته موقناً. فإن أدنى ما يحتكم عليك تبصر تلك الحال. ويقنأ تصور تلك الأهوال. ان تكون في جميع ساعاتك إما لا على صفتك في الساعة التي ألمك فيها مس الجمرة التي خطبها هين. وأذتك إصابة القطرة التي مقدار أذاها بين. قلقاً متأوهاً، نزقاً متولهاً، لا تلتفت إلى الدنيا النفاثة راغب. ولا ترتاح لأجل ما تعطيك من عجاله الزكب، ولا تفتن لكزاتها ودولها أساءت أم سرت. ولا لأيامها ولياليها أعقت أم برت.

أولاً: المعنى العام:

ورد هذا النص في سياق التحذير من ارتكاب الذنب والتفات إلى الدنيا ومغرياتها، وهذا الفهم يقوم به المتلقي في ضوء المعهود اللغوي الذي يحمله حول النص الذي يوضح أثر

يظهر الاستبدال في هذه المقامة كقول الرّمخشري في: (هل تتّم عندّ صدمة ذلك لأنّ تقلّب فكرًا في حَظَبٍ مهم،...)، حيث ذكر اسم الإشارة (ذلك) الذي يشير إلى تعلق النفس بجمرة أو القطرة وهو أثر من ارتكاب الذنب و...ثم إنها على ذلك لتتسبك جميع ما همتك...). واسم الإشارة (تلك) في: (أم بها في تلك الوهلة ما يشغلها عن أن تنطق في شأنٍ يعينها بحرف...) يشير إلى الصدمة أو وقوع حدث ارتكاب الذنب حيث نجد أنّ الكلمات التي تحتها خط قد جاءت للتعبير من الجملة السابقة.

الاتساق المعجمي:

1) التكرار:

يبدو ممّا سبق اعتماد التكرار في مقامة الحذر، ولم يأت هذا التكرار عشوائياً، بل إنّ الرّمخشري كان يعتمد مبدأ الانتقاء بوعي منه لما ينتقي ويكرّر، لتعزيز ما يريد ترسيخه في الأذهان، فلو لم يكرّر لما استطاع أن يعط نفسه وأن يثير الإحساس لدى المتلقّي، فتكرار ذكر ضمير المتصل للمخاطب "ك" مرّات متتالية في مقامة الحذر يسهم في تدوير ذهنية المتلقّي لكي يبتعد عن ارتكاب الذنب، فنجد هذا واضحاً ومنتشراً بين عدّة مواضع من أول النصّ إلى نهايته: نفسك إنّ تعلّقت ببعض أطرافها جمرة... ويتبسّط في مهابّ الرياح الأربع لشغلك التألّم عن كبرياء سلطانك. ولأدرج تلك الأعنة تحت مطاوي نسيانك... ثمّ إنها على ذلك لتتسبك... وأفكارك عليه دائرة... وتشخص بك عن المضجع الممهود... وتطلق حُبوتك في المحفل المشهود...

وجاء تكرار "أو" تأكيداً للسابق؛ (أو أصابته من الماء المغلي قطره...)، (هل تتّم عندّ صدمة ذلك لأنّ تقلّب فكرًا في حَظَبٍ مهم، أو ترفع رأساً لحبيبٍ ملّم، أو تلقي سمعاً إلى ما تتهاوى إليه الأسماخ. وتتقاذف نحوه القلوب والطباع، أو ترمي إلى أحبّ خلق الله إليها بطرف...). وكان لتكرار هذا الحرف وظيفة الرّبط بين ما تقدّم من ذكر أثر ارتكاب الذنب وما يليها إعلاماً منه بأنّ أثر الصدمة من ارتكاب الذنب جعل أحدنا متبلّداً شارد الذهن. وتكرار كلمات "و" يلحظ كثيرا في هذه المقامة: (وتتقاذف... ولو كنت ممّن... ويتبسّط في مهابّ... ولأدرج... وإنّ الجمرة... ويقتل تصور تلك الأهوال... وأذتك... إلخ...).

وبدا جلياً أنّ هذا التكرار جعل النصّ يتسّق من أوله إلى نهايته إذ يتكلّم الرّمخشري عن أثر ارتكاب الذنب بما يعتره من جعل أحدنا لا قيمة له ولا جدوى، وتحذير من ارتكابه بدعوة المتلقّي لأنّ يجعل جهنّم قدّام عينيه يتخيّلها وكأنّه يراها حقيقة ليس بينه وبينها أي حائل أو حاجز، ولذا لا ينبغي له أن

بها دائماً وأنستنا ما كانت أيضاً همّتنا إليه متطلعة من الشر بل وألم الذنب الذي هو كحريق الجمرة أو القطرة قد أقض مضجعنا فأذهب عنا لذة النّوم في المضجع المجهنّ الناعم المرفة: (هذا وإنّ الجمرة والقطرة... وتشخص بك عن المضجع الممهود. وتطلق حُبوتك في المحفل المشهود.) ويتبدى لنا الرّبط بين دلالة كل من الجمل المتجاورة والكلمات أيضاً، وهذا التجاور يودّي إلى اتّساق النص من البداية حتى نهايته: (وكفالك... وأقطع ذلك كله أنّ عذابها أبد...)- (وكانه لا برّخ بينك وبينها... وأذتك... ولا ترتاح لأجل ما تعطيك من عجالة الرّاكب، ولا تقطن لكراتها ودولها أساءت أم سرّت. ولا لأيامها ولياليها أعقت أم برّت.) وهنا سيد المتلقّي عند قراءته هذه الجمل المتبقية بأنّه في أمام النصّ المتناسق، حيث استخدام حرف عطف "الواو" في موضع التحذير من عذاب النار وطلب من المتلقّي أن يتفادى من ارتكاب الذنب أو الإثم.

أمّا حرف "ثم" فاستخدامه قليل، واستخدامه للرّبط بين الجمل المتجاورة: (...ثمّ إنها على ذلك لتتسبك جميع همتك إليه عائرة...). وبهذه الأدوات كلّها تتماسك الجمل فيما بينها، وسوف يفهم المتلقّي هذا النصّ بسبب الوصل بين الجمل.

الإحالة:

يوظف الرّمخشري الإحالة ليحقق اتّساق النصّ كقوله في: (كلتاها) يرجع إلى الجمرة والقطرة: (هذا وإنّ الجمرة والقطرة كلتاها هنة يسيرة...). وبهذا، يجعل المتلقّي يربط بين الجمل عبر هذه الإحالة داخل النصّ. ولذا، فإنّ الضمائر من أبرز الأدوات التي يستعملها الكاتب للإحالة على كيانات معطاه سلفاً، ممّا يحقق التماسك النصّي والاتّساق على مستوى الجملة والنصّ.

أمّا الإحالة بالضمائر المتصلة فوردت في قول الرّمخشري: (نفسك إنّ تعلّقت ببعض أطرافها جمرة... تحت مطاوي نسيانك... لتتسبك جميع ما همتك إليه عائرة... وأفكارك عليه دائرة... وتشخص بك عن المضجع الممهود... وتطلق حُبوتك في المحفل المشهود... فناز الله التي حسبك ما سمعت من فضاة وصفها وهولها. وكفالك فيها... قدّام ناظريك كأنك تشاهد عينها. وكأنه لا برّخ بينك وبينها... ان تكون في جميع ساعاتك إمّا لا على صفتك في الساعة التي ألمك فيها مسّ الجمرة التي خطبها هين.); وتشير هذه الضمائر كلّها إلى (أبا القاسم) وهو في أول النصّ؛ ممّا يساعد على فهم المقصود في قول الرّمخشري. وتبيّن أنّ الضمائر في ظلّ هذه المقامة جوهرية للغاية جاءت من أجل إثبات تأثير البنية النحوية في بناء النصّ واتّساقه.

الاستبدال

صورة مغريات الدنيا وشهوة النفس قبل أن تصف صورة المسلم التقى التي يختار فيها المسلم طريقاً يهديه إلى رضا الله. ونلاحظ ربطاً بين صورة مغريات الدنيا (إن زبرج الدنيا...) وبين صورة اختيار المسلم طريقه (الطرق شتى فاختر منها...) دون أداة يدركه المتلقي عبر التدرج في المعلومة، بحيث إن أحدهما يتوقف على تحقق الآخر. وردت هذه المقامة في باب وعظ الزمخشري نفسه والمتلقي بتقوى الله وذلك بتذكير أن العمر في هذا الدنيا قصير، وشهوات الشيطان من ملذات الدنيا كثيرة. وسيفهم المتلقي هذا المقصود من هذه المقامة حول اختيار بين الشئين؛ الخير والشر بما فيهما من الوضوح ووضاء، وهذا بدوره سيثير فيه الخوف من الله والعمل على طاعته سبحانه.

وثمة أداة للوصل بين الجمل المكونة للنص، وهي: (حرف الواو، حرف الفاء). وردت أداة العطف (الواو) التي وصلت بين الجمل المتتالية في النص وربطت المعلومات بعضها ببعض كما في قول الزمخشري: (والى الله المصير...، وشيطان الشهوة...، ولا ركن أقوى...، ولا تخط قدمك...، والمحجة...، والشبهة...، ووجوه...، والحنيفية...، والحق...، وتبليج، ولم تكابر حسك. ليت شعري ما هذا التواني...، والمواعظ سير السواني).

أما أداة الربط (حرف الفاء) فقد وردت في مواقع مختلفة في الكلام، ودلت على العطف والتعقيب في الحدث: (والى الله المصير فما هذا التقصير...، "الحق قد رفعت ستوره وتبليج فسطع نوره فلم تغلط نفسك...") وبهذا الربط سوف يفهم المتلقي من حث على الطاعات ونهي عن معصية الله وبرق قلبه، ويدفعه ذلك إلى تقوى الله.

الفصل:

ومن الملاحظ أن عبارة أخيرة في هذه المقامة لا علاقة لها بالجمل السابقة من حيث اللفظ، ولكن يفهم المتلقي بأنها عبارة وعظية مباشرة لهذه المقامة، وكان يختتم الزمخشري مقامته بأن تكون توصيةً للأخريين ويرجو بأنه لا يتأخر في هذا الوعظ، وهذه العبارة هي: "ليت شعري ما هذا التواني، والمواعظ سير السواني". ولعلنا نلاحظ أيضاً أن ختام الجملة لم ينته بالقارئ إلى نتيجة يستريح إليها، وكثيراً ما يكون هذا الأسلوب وسيلة لشحذ انتباه القارئ وإثارة تساؤله.

الإحالة:

الإحالة وسيلة ربط مهمة، وهي من أقوى وسائل الربط ليس على مستوى التراكيب المنقارية وحسب وإنما تتخطى ذلك إلى الربط بين الأجزاء المتباعدة في فضاء النص (الخالدي، 2014م).

وردت إحالة في هذه المقامة: الضمير المتصل "ك" الذي

يلتفت إلى الدنيا ومغرياتها لفتةً رغبةً سواء أفي حالة قلق وتوتر ومتألم في ضيق وكرب كان أم في حالة سعادة وفرح. وبهذا، يسهم الاتساق في إحكام النص على وجه تحقيق المقصدية. ونرى هذا التكرار وفق نسق ترتيب وإلا فإن وروده عشوائياً يؤدي إلى الركاقة والملل، فالتكرار يدعو إلى دعم التماسك النصي.

(2) التّضام:

يقودنا التكرار السابق إلى نوع مقابل له وهو التّضام، بتوارد أزواج من الكلمات بالفعل أو بالقوة تربطها علاقة ما، ويسهمان في نصية النص وتماسكه كالأزواج الآتية: "أساءت أم سرّت...": "قد طابق بين (أساءت وسرّت)...". "ولا لأيامها ولياليها...": "وهنا قد طابق بين (الأيام والليالي)...". "أعقت أم برّت...": "وهنا قد طابق بين (عقت وبرّت). ومما سبق يتبين للمتلقى أن الزمخشري يوظف التّضام أو الطباق في جعل النص نصاً متماسكاً يؤثر في المتلقي، ويجعله يتفاعل معه ويفهمه في ضوء التّضام الذي يربط بين الكلمات بقوة العلاقة بينها.

مقامة التقوى

يا أبا القاسم العمرُ قصيرُ، وإلى الله المصيرُ، فما هذا التقصيرُ. إن زبرج الدنيا قد أضلك، وشيطان الشهوة قد استرلك. لو كنت كما تدعي من أهل اللب والحجى، لأتيت بما هو أحرى بك وأحجى، ألا إن الأحجى بك أن تلوذ بالركن الأقوى، ولا ركن أقوى من ركن التقوى. الطرق شتى فاختر منها منهجاً يهديك. ولا تخط قدمك في مضلة تريك. الجادة بيّنة. والمحجة نيرة. والحجة منضحة. والشبهة متفضحة. ووجوه الدلالة وضاء. والحنيفية نقيّة ببيضاء. والحق قد رفعت ستوره. وتبليج فسطع نوره فلم تغلط نفسك. ولم تكابر حسك. ليت شعري ما هذا التواني. والمواعظ سير السواني.

المعنى العام:

تحدثت هذه المقامة عن التقوى، وهو أعز شيء بالنسبة للمؤمنين الذين يريدون أن يفوزوا في هذه الحياة التي تمتلئ بالكثير من مغرياتها المتنوعة، فالطرق الحسنة والسيئة متضحة فيحرص الزمخشري على حسن اختيارها، ويرجو صاحب المقامة - الزمخشري - بأن يجعل المتلقي هذه المقامة وعظاً وعظةً ويدعو إلى الإسراع في فعل الخير وتقوى الله.

وسائل الاتساق:

الوصل:

ومن الملاحظ أن الوصل قد ورد بين الجمل بواسطة العلاقات القائمة بين الصور؛ حيث إن هذه المقامة تصف

يريد أن يصل إليه ويعمل له في. فلم يقصد في ورود هذه الكلمات التضاد في المعنى، وإنما التلازم، وذلك لكي يربط المتلقي بين الخير والشر في هذه المقامة.

مقامة الندم

يا أبا القاسم إنك لفي موقفٍ صعبٍ بين حوبةٍ ركبته وبين توبةٍ تبتهأ. فمتى ياسترئظنظرك إلى جانب حوبتك وهو أوحش جانب وأجدره بالمخاوف جانب قد سدّه الغبار المصّب وأطبق عليه الظلام المرّب. لا يترأى فيه شبحان وإن اقتربت بينهما المسافة. وإن لم تعتور أبصارهما آفة. رأيت الشرّ يهروا إليك مُقعّعا بأقرايه. مخترباً منصله من قرايه. يؤامر فيك نفسه ويداور فيك رأيه. أيقذك أم يقطك. وفي أيّ الغمرتين يُغطك.

والوعيد يتلقاك بوجه جهم. ويزحف تلقاك بجيش دهم. والعقاب يحد لك نابه. ويُسمر عن مخلبه قنابه. وبنات الرجاء يبرزن إليك في جداد. وأفواه الناس تكشر لك عن أنياب حداد. ومتى يامتت ببصرك إلى جانب توبتك وهي أنس جهة وأنفها. وأوقفها بالمؤمن وأرفقها جهة كأن الفجر المستطير تنفس في أعراضها. وكأن النهار المستنير أفتبس من بياضها يبرق البصر في سطوع إياتها. وكاذ يهدي العمى وضوح آياتها. وجدت الخير مقبلاً بوجه متطلق بساماً عن مثل وميض متألق يلازمك لزام الحميم المشفق. وبلاتمك لنام الحبيب المتشوق والوعد ينفض على خديك ورد الاستبشار. ويذيق قلبك برد الاستبصار. والثواب يمسح أركانك بجناح ويغسلك عن كل ماثم وجناح.

والرجاء واليأس يتقارعان فيخرج سهم الرجاء بالفوز والفالج. ويبقى اليأس مقروعاً داحض الحجاج. فخذ حذارك أن يزلك الشيطان ويضلك. بأن يلقي على إحدى الجهتين ظلك. وتهب لها دون الأخرى كلك. فإنك إن فعلت ذلك ملكك القنوط والفرع. واستولى عليك الأمن والطمع. وكلاهما لعمر الله أكل وبيل. ومنهل ليس له إلى المساغ سبيل. القانط الفرع جامد لا يرتاح للعمل.

والأمن الطمع متلكي منكىء على الأمل فإن حاولت أن لا تقعد يائساً بائساً ولا آملاً آمناً فقطع بين الجهتين نظرك. وشطر إليهما بصرك. حتى تجعل نفسك مترجحة بين الرجاء والجدار. مترنحة بين البشارة والإنذار. تلمظها طوراً حلاوة الطمع إرادة الرغبة والنشاط وطوراً مرارة الفرع خيفة الاسترسال والانبساط. أمزج اليأس والطمع والبس الأمن والفرع لا تدّر من كلا النقيسين شيئاً ولا تدع من يكن يقتنيها فقد استكمل الورع.

المعنى العام:

يعود إلى الزمخشري نفسه: (أضلك، استزلك، بك، يهديك، قدامك، تردك، نفسك، حسك)، وهذا الضمير يشير إلى أبي القاسم - الزمخشري -. والضمير المتصل "ها" الذي يرجع إلى جملة سابقة في النص وهي الطرق المتنوعة الكثيرة خيراً وشرّاً: (الطرق شتى فاختر منها منهجاً...); مما يساعد على فهم المقصود في قول الزمخشري، فللضمير وظيفة نصية تتمثل في قدرة الضمير على تحقيق التماسك والترابط في النص من خلال علاقة الضمير بما يُحيل أو يشير إليه.

الاتساق المعجمي:

(1) التكرار:

يعد أسلوب التكرار من أبرز الأساليب التعبيرية التي ظهرت - وما تزال - بصورة جلية في نتاج الأدباء (الخرشة، 2015م)، كما أنه يعدّ من وسائل التماسك النصي مما يجعل النصّ متسقاً.

ورد في: "بالركن الأقوى"، "ولا ركن أقوى من ركن التقوى" وذلك للدلالة على موضوع النص، ولأهميته في المعنى المقصود حيث إنّ الركن الأقوى الذي يجب على إنسان أن يستغيث به في هذه الحياة هو ركن التقوى. ولذا، يذكر الزمخشري نفسه والمتلقي بأن يسير على طريق صحيح في هذه الدنيا بما فيها كثير من مغرياتهما وملذاتهما.

ونرى تكرار ضمير متصل مخاطب "ك" في هذه المقامة مرّات عديدة: (أضلك، استزلك، بك، يهديك، قدامك، تردك، نفسك، حسك). وهذا التكرار يعود إلى الزمخشري نفسه والمتلقي علماً أنّ كل مقامات الزمخشري وضعت لمحاكاة نفسه والآخرين. وقد أدى هذا التكرار دوراً مهماً في وضع المتلقي في جو النص الذي يدعو إلى التقوى وفعل الخير.

فاستخدام التكرار بصورة ملحة يستقطب وعي المتلقي أو القارئ ويلفت نظره إلى فهم النصّ فهماً دقيقاً. ولذا أصبح النصّ متسقاً بفضل التكرار.

(2) التضام:

يوظف الزمخشري التضام مما يجعل النصّ متسقاً يؤثر في المتلقي، ويجعله يتفاعل معه ويفهمه، فنرى قول الزمخشري في هذه المقامة:

- "...فاختر منها منهجاً يهديك"، ولا تخط قدامك في مضلة تردك...": قد طابق بين (منهجاً ومضلة) و(يهديك وترديك).

- "الحجة متضحة والشبهة متفححة". وقد طابق بين (الحجة والشبهة) و(متضحة ومتفححة).

وهذا بدوره يجعل المتلقي (المؤمن) يختار العنصر الذي

النصي: "ويبقى اليأس مقروعاً داحضاً الحُجج" ... "واستولى عليك الأمل والطمع". "وكلاهما لعمُر الله أكلٌ وبيل". "ومنهل ليس له إلى المساعِ سبيل... "والأملُ الطمعُ متلكي متكىء على الأمل... "وشطرٌ إليهما بصرك"... "ولا تدعُ مَنْ يَكُن يفتنيها فقد استكملَ الوَرع". "وواو العطف في هذه المقامة ربطت بين كل جملة وأخرى، وأفادت القارئ في تتبع المعنى بسبب وجود الوصل بين الجمل.

أما حرف العطف الفاء فقد استخدمه الزمخشري قليلاً قياساً إلى حرف العطف الواو؛ فاستخدام الفاء جاء في قوله: "قمتي ياسرت بنظرك..."، ليدل على التعقيب؛ إذ يستخدمه الزمخشري في بيان معنى الحوبة والتوبة، ومنه: "فخذُ حذارِكَ أن يُزِلَكَ الشيطانُ...". وكذلك رأينا استخدام الفاء بعد حديثه عن الرجاء واليأس، إذ يلاحظ أن هذه "الفاء" تصل بين الجملتين "والرجاء واليأس يتقارعان... فيخرج..."، وكذلك ورد هذا الحرف بعد جملة: "ويبقى اليأس مقروعاً داحض الحُجج، فخذ حذرك..."; حيث يوصي المؤلف نفسه والمتلقي بأن يكون حذراً عندما يلقي على إحدى جهتي الظل الرجاء واليأس، ويوصل كلامه بعد ذلك بحرف الفاء للدلالة على التعقيب مباشرة، حيث أراد المؤلف بيان أهمية الحذر دائماً، ومنه قوله: "فإنك إن فعلت ذلك ملكك القنوط والفرع"، وبهذه الأدوات تتماسك الجمل فيما بينها، ويسهم التماسك في احكام النص على وجه تحقيق المقصدية.

الإحالة:

وردت الإحالة في اسم الإشارة (ذلك) في قوله: "فإنك إن فعلت ذلك ملكك القنوط والفرع"، حيث يعود الضمير (ذلك) إلى مضمون جملة سابقة: وهي: "فخذ حذارِكَ أن يُزِلَكَ الشيطان ويضلك بأن يلقي على إحدى الجهتين ظلك وتهب لها دون الأخرى كلك". ويوصي المؤلف نفسه والمتلقي بألا يكون من المهملين بين الرجاء واليأس؛ لأنه إذا اهتم أحدهما بالرجاء فحسب دون اليأس أو العكس، فسيسيطر عليه القنوط والفرع أو الخوف، فلا بد أن يأخذ بعين الاعتبار كلنا الجهتين، وهذه الإحالة هي إحالة داخل النص، وبهذا الاستخدام تتماسك الجمل وتتسق فيما بينها وتلفت انتباه المتلقي لفهمه في ضوء الإحالة إلى ما سبق.

أما الإحالة بالضمائر المتصلة فوردت في قوله: "إنك، ياسرت بنظرك، حويتك، رأيت، إليك، فيك، أيقذك أم يقطك، وجدت، يغطك، يتلقاتك، تلقائك، إليك، ببصرك، لك"، وتشير هذه الضمائر إلى أول الجمل في النص: "يا أبا القاسم..."، وبهذا تتسق الجمل ويفهم المتلقي المقصود من الإحالة ويتفاعل مع النص فيفهمه في ضوء مقصود المتكلم.

الاستبدال:

ورد النص في سياق التحذير من الندم على ارتكاب الذنب أو الحوبة، وهذا الفهم يقوم به المتلقي في ضوء المعهود اللغوي الذي يحمله حول النص الذي يوضح أن الزمخشري يعطي اختياراً بين الشيتين؛ الحوبة والتوبة، والشر والخير، والوعد والوعد، والعقاب والثواب بعد تلك المتلازمات اعتباراً وتذكراً على الصعدين السلبي والإيجابي.

مظاهر الاتساق:

الوصل:

يظهر في هذه المقامة العطف بين الجمل، إذ إنه يؤدي وظيفة رئيسة وهي الربط بين دلالة كل من الجملتين المتجاورتين والكلمات أيضاً (عبد المحيد، 2010م). وهذا التجاور يؤدي إلى اتساق النص إذا كانت الجملة متتالية، ونستطيع أن نرى من مقدمة النص حتى نهايته استخدام حروف العطف.

وكان أكثرها تداولاً حرف الواو، وقد ورد حرف العطف "الواو" في معظم الجمل؛ إذ يلاحظ أن الواو وصلت بين الكلمتين الحوبة والتوبة في قوله: "...بين حوبة ركبته وبين توبة تبتها...". وبعد ذلك وردت هذه الروابط عند كلام عن الحوبة بتفصيل، إذ تصل بين كل الجمل المتعلقة بالحوبة، ومنها قوله: "وهو أحوش جانب...". "وأجدره بالمخاوف والمهايب...". "وأطبق عليه الظلام المرب...". "وإن اقتربت بينهما المسافة. "وإن لم تعتور أبصارهما آفة...". "وفي أي الغمرتين يغطك". "والوعد يتلقاتك بوجه جهم. "ويزحف تلقائك بجيشي دهم". "والعقاب يُحد لك نابه". "ويشمر عن مخلبه قنابه". وفي الجمل: "وبنات الرجاء يبرزن إليك في جداد". "وأفواه الناس تكشر لك عن أنياب حداد". جاءت لبيان التوبة في النصف الثاني في هذا النص، ومنه: "ومتى يامننت ببصرك إلى جانب توبتك وهي أنس جهة وأنقها". "وأوفقها بالمؤمن وأرفقها جهة كأن الفجر المستطير تنفس في أعراضها". "وكان النهار المستطير أقنيس من بياضها يبرق البصر في سطوع إياتها". "وكاد يهدي العمي وضوح آياتها". "ويلائمك لئام الحبيب المتشوق والوعد ينفض على خديك ورد الاستبشار". "ويذيق قلبك برد الاستبصار". "والثواب يمسح أركانك بجناح ويغسلك عن كل ماثم وجناح". ويصل حرف الواو أيضاً بين كلمتي: الرجاء واليأس في النص، حيث وردت الأقوال: "والرجاء واليأس يتقارعان فيخرج سهم الرجاء بالفوز والفج".

ونجد أن الواوات موجودة فيما بقي من الجمل المتتالية بعد الرجاء واليأس، وقد جعلت المتلقي يفهم النص في ضوء تماسكه من أوله إلى آخره، ومن أمثلة هذا النوع من التماسك

مما تجعل النصّ متّسقاً، ونجد الزمخشري ببرايعته يوظّف التضمين أو الطباق/ المقابلة في مقامة الندم حيث إنّه يقسم الأمر إلى قسمين، وهما: حوبة توبة، فيركز على الحوبة أولاً بعباراتها الجذابة التي تشوّق المتلقّي عند قراءتها، ثمّ يتكلّم عن التوبة.

فالتّضام هنا في كثير من الأحيان ليس متجاوزاً وإنما متباعدًا غير أنّه متسلسل ويجعل النصّ أكثر تماسكاً ومشوّقاً للقارئ كما في قول الزمخشري:

- "بين حوبة ركبته... وبين توبة تبتّها...": قد طابق بين (حوبة وتوبة) و(ركبتها وتبتّها).

- "فمتى ياسرت بنظرِك إلى جانب حوبتك وهو أوحش جانب... ومتى يامنّت ببصرِك إلى جانب توبتك...": قد طابق بين (ياسرت ويامنّت) و(حوبتك وتوبتك).

- "رأيت الشرّ يهرول إليك مُقعّعا بأقربه... وجدت الخير مُقبلاً بوجهٍ متطّلقٍ بساماً...": قد طابق هنا بين (الشر والخير) و(يهرول ومقبلاً).

- "والوعيد يتلقاك بوجه جهم... والوعد ينفض على خديك وردّ الاستيثار...": وهنا قد طابق بين (الوعد والوعد) و(يتلقاك وينفض)، و(جهم والاستيثار).

- "والعقاب يُحدّ لك نابه... والثواب يمسح أركانك بجناح...": فالطابق هنا بين (العقاب والثواب).

- "والرجاء واليأس يتقارعان فيخرج سهم الرجاء بالفوز والفألج...": الطابق بين (الرجاء واليأس).

ومما سبق تبين أنّ الزمخشري يوظّف التّضام أو الطّباق في جعل النصّ نصّاً متماسكاً يؤثّر في المتلقّي، ويجعله يتفاعل معه ويفهمه في ضوء التّضام الذي يربط بين الكلمات بقوة العلاقة بينها. فيمثل التّضام علاقة معجمية بنوية تربط بين مفردتين تتلازمان في الاستعمال، وهذا يساعد على ترابط النصّ واتّساقه لدى المتلقّي.

الخاتمة

الملاحظ أنّ هذه المقامات توظّف مفهوم الاتّساق بطريقة تسهم في مظاهر التماسك النصّي وتحقّق طرق التّقبّل عند المتلقّي. وتبيّن للبحث استخدام الزمخشري مظاهر الاتّساق بما تتضمّنه الوصل، والإحالة، والتكرار، والتّضام، والاستبدال، فشكّل الاتّساق مبحثاً مهماً في التماسك النصّي؛ إذ يجب أن تتحقّق الصّحة اللغوية في النصّ، والصّحة اللغوية تعني أن يتسق النصّ من الناحية الصّرفية، والنحوية، والتركيبيّة. وقد ظهرت مظاهر الاتّساق؛ الوصل، والإحالة، والتّضام، والتكرار على نحو بارز في مقامات الزمخشري من خلال الاستفادّة من

مما يلاحظ في (مقامة النّدم) قدرة الزمخشري على استخدام عنصر الاستبدال بوصفه وسيلة من وسائل التماسك النصّي، ممّا يحقق الترابط بين أجزاء النصّ، ويمكن المتلقّي أن يرى ذلك في قوله: "فإنّك إنّ فعلت ذلك ملكك القنوط والفرع، واستولى عليك الأمن والطمع...". وكذلك في: "لا يترأى فيه شبحان وإن اقتربت بينهما المسافة...". وفي: "والرجاء واليأس يتقارعان... فخذُ حذارِك أن يُزلِك الشيطانُ ويضلكُ بأن يُلقِي على إحدى الجهتين ظلك..."; حيث يجد المتلقّي أنّ الكلمات التي تحتها خط قد جاءت للتعبير عن الفكرة السابقة: "والرجاء واليأس يتقارعان...". ويفهم المتلقّي أنّ الرجاء واليأس لا بدّ أن يأتيّا معاً فلا يلقى المرء نفسه في أحدهما فيطمع كلّ الطمع في رجائه أو يغرق حدّ القنوط في يأسه، فالرجاء أن يكون المرء متفائلاً في الحياة مع أنّه قد ارتكب ذنباً. وفي اليأس عبرة كي لا يعود إلى فعل الشرّ على أن لا يسيطر عليه النّدم. وهذا يجعل المتلقّي يفكّر ملياً فيما سيجنيه من فعل شيء ما، سلبياً كان أم إيجابياً قبل أن يقمّ على فعله.

فالاستبدال إذاً وسيلة من وسائل الربط بين الجمل داخل النصّ، ويسهم بدور فعّال في اتّساق النصّ ممّا يعين المتلقّي على فهم النصّ عن طريق الاستبدال.

الاتّساق المعجمي:

1) التكرار:

ومن الملاحظ غلبة استخدام التكرار في هذه المقامة، وهو تكرار الضمير المتصل للمخاطب "ك": (إنّك، بنظرِك، حوبتك، إليك، فيك، يقدك، يقطك، يتلقاك، لك، ببصرِك، توبتك، يلازمك، قلبك، يلاثمك، أركانك، يغسلك، حذارِك، يزلِك، يضلِك، ظلك، نظرك، نفسك). فهذا التكرار المتسلسل يُشيع أجواء الوعظ والعظة في هذه المقامة ممّا يجعل النصّ نصّاً متّسقاً متماسكاً، فالزمخشري في هذه المقامة يجمع عدداً هائلاً من ضمائر المخاطب ممّا يحقّق الترابط بين أجزاء النصّ. كما يُلاحظ صورة أخرى للتكرار وهما: التكرار بالمرادف والتكرار المعنوي. وهذا النوع من الضمائر يشكّل طريقة من طرائق توصيل الوعظ إلى المتلقّي.

2) التّضام:

ومن وسائل التماسك النصّي التّضام، ومن الملاحظ أنّ الزمخشري يستخدم أشكالاً من التّضام على هيئة الطّباق أو المقابلة (الطّباق الذي يأتي فيه معنيان أو عدة معاني) في هذه المقامة، وهذه الكلمات تلفت نظر المتلقّي، وتحمله إلى أن يواصل قراءة المقامة حتّى النهاية بُغية استيعاب هذا النصّ استيعاباً جيّداً، فنرى مثلاً سلسلة طويلة من التّضام أو المقابلة

هذه الوسائل؛ مظاهر الاتساق تسهم في تحقيق التماسك النصّي من خلال قدرتها على الرّبط بين الجمل المتقاربة والمتباعدة.

التّراث العربي ونحو النصّ. واللافت للنّظر من هذا التحليل أنّ تطبيق التّماسك النصّي يناسب في مقامات الرّمخشري كما أنّه يركّز على كيفية تركيب النصّ كصرح دلالي. ويلحظ أنّ كلّ

المصادر والمراجع

- ط 2 عمّان: دار عمّار. ص 86-100.
- السّيوطي، (1983م) طبقات المفسّرين، ط 1 بيروت: دار الكتب العلمية. ص 105.
- عبد الله، م. (2010) من أنواع التّماسك النصّي، "مجلة جامعة ذي قار"، العدد الخاص، المجلد 5، ص 54.
- عبد الكريم، ج. والزهراني، ر. (2013) تظاهرات الفاعل الاجتماعي من خلال الإحالة إلى الآخر، ط 1 الأردن: دار كنوز المعرفة العلمية. المجلد 2، ص 657، 663.
- عبد اللطيف، م. (2007) فتنة النصّ؛ بحوث ودراسات نصّية، ط 1 مصر: دار غريب. ص 188-189.
- عبد اللطيف، م. (2000) التحوّل والدلالة مدخل لدراسة المعنى التحويلي- الدلالي، ط 1 القاهرة: دار الشّروق. ص 162.
- عبد المجيد، م. (2010) من أنواع التّماسك النصّي (التكرار، الضّمير، العطف)، "مجلة جامعة ذي قار". العدد الخاص. المجلد 5، ص 59.
- علي، ع. (2009) اللسانيات المعاصرة للدارسين في الجامعات الماليزية، ط 1 ماليزيا: الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. ص 262.
- علي، ع. (2013) فاعلية علم اللغة النصّي في تحليل معهود الخطاب العربي، ط 1 ماليزيا: الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. ص 35-76.
- عوض، ي. (1979) فنّ المقامات بين المشرق والمغرب، ط 1 لبنان: دار القلم. ص 1، 8.
- فرج، ح. (2009) نظرية علم النصّ: رؤية منهجية في بناء النصّ النثري، ط 1 مصر: مكتبة الآداب. ص 127، 128.
- فضل، ص. (1992) بلاغة الخطاب وعلم النصّ، ط 1 الكويت: دار المعارف. ص 254.
- الفقي، ص. (2000) علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق، ط 1 مصر: دار قباء. ج 1، ص 69، 96.
- الفيروز أبادي، (1987) البلغة في تراجم أئمة النّ؛ واللغة، ط 1 تحقيق: محمّد المصري. الكويت: منشورات مركز المخطوطات والتراث. ص 220.
- قطب، م. (2014) علم اللغة النصّي النظرية والتطبيق، ط 1 مصر: عالم الكتب. ص 180-183.
- الكردي، ع. (2008) قراءة النصّ مقدّمة تاريخية، مصر: مكتبة الآداب. ص 56.
- ليمان، ش. (2012م) التأويل في شرح مقامات الرّمخشري ليوسف بقاعي، رسالة ماجستير غير المنشورة، الجمهورية الجزائرية: جامعة مولود معمري تيزي وزو.
- البغدادي، إ. (1982) هدية العارفين في أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين، بيروت: دار الفكر. ج 2. ص 402.
- البطاشي، خ. (2013) التّرابط النصّي في ضوء التحليل اللساني الخطاب، ط 1 الأردن: دار جرير. ص 66.
- الجرجاني، ع. (1987) دلائل الإعجاز، تحقيق: محمّد رضوان الذّابة وآخرون، دمشق: مكتبة سعد الدين. ص 98.
- الجرجاني، ع. (1994) دلائل الإعجاز، تعليق: محمد رشيد رضا، ط 1 لبنان: دار المعرفة. ص 141-151.
- ابن جنّي، أ. (د.ت.) الخصائص، د.ط. القاهرة: المكتبة التوفيقية. ص 243.
- حسن، ك. (2008) مقامات الرّمخشري -دراسة موضوعية- فنيّة، المجلد 4، العدد 9، مجلة سر رمزي. ص 52، 58.
- الحنفي، إ. (2001) الأطول شرح تلخيص المفتاح، ط 1 لبنان: دار الكتب العلمية. تحقيق: عبد الحميد هندأوي، ج 1، ص 184.
- الحموي، ي. (1993م) معجم الأديباء، ط 1 تحقيق: إحسان عبّاس. بيروت: دار الغرب الإسلامي. ج 6. ص 2687.
- الخالدي، ب. (2014م) دراسات العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، البناء التحويلي وأثره في الدلالة: دراسة نصّية في مقامات الحريري (الحذف والإحالة نموذجًا)، المجلد 41، ملحق 2، الأردن: الجامعة الأردنية. ص 758.
- خطّابي، م. (1988) لسانيات النصّ: مدخل إلى انسجام النصّ، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي. ص 17-25.
- الخطيب، ج. (1932) التلخيص في علوم البلاغة، ط 2 لبنان: دار الكتاب العربي. شرح: عبد الرحمن البرقوقي. ص 347.
- خليل، إ. (2011) النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، ط 4 الأردن: دار المسيرة. ص 164-165.
- دي بوجراند، ر. (1998) النصّ، والخطاب، الإجراء، ترجمة: تمام حسان. ط 1 مصر: عالم الكتب. ص 172، 346، 379، 301-306.
- الذّهبي، (1985م) سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمّد نعيم العرقسوسي. ط 1 بيروت: مؤسسة الرّسالة. ج 2. ص 151-152.
- الرّمخشري، م. (2004) مقامات الرّمخشري، ط 3 لبنان: دار الكتب العلمية. ص 277-278.
- الرّمخشري، م. (1966) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، ط 1 مصر: مكتبة الحلبي. ج 3. ص 365.
- السّامرائي، ف. (2009م) الدراسات التحويلية واللغوية عند الرّمخشري،

اللغوي الحديث، ط1الأردن: دار البشير. ص96.
وي، ب. (1997م)، مقامات الزمخشري دراسة تحليلية، رسالة
ماجستير غير المنشورة، الأردن: الجامعة الأردنية.
De Beaugrande, R. and Dressler, W. (1981) Introduction to
Text Linguistic, London: Longman. Pp14-79,103.
Halliday, M. and Hassan, R. (1976) Cohesion in English,
London: Longman. Pp 8, 144, 142-167, 196.

محمد، ع. (2011) البلاغة العربية، ط1 الأردن: دار المسيرة.
ص81.
المرزباني، م. (د.ت.) الموشح، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط1
مصر: دار النهضة. ص36.
ابن منظور، م. (1994) لسان العرب، ط3 لبنان: دار صادر،
ج10. ص378.
الموسى، ن. (1987) نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر

The Cohesion Elements in Maqamat Al-Zamakhshari

*Nurul Hanilah Binti Mohd Ismath, Abdullah Al'Anbar**

ABSTRACT

The study investigates the Cohesion elements in the “Maqāmāt Al- Zamakhshari”. This study aims to highlight the combination between the grammatical, semantics, and rhetoric features in order to understand this “Maqāmāt” as well as to indicate the strong relations between the arabic linguistics traditions with the modern linguistic theories from the perspective of textual analysis. The study concludes that Arabic linguistic traditions have many elements of cohesion in the the science of text analysis. The study, in this respect, points out the eligibility of utilising the cohesion elements in “Maqāmāt al- Zamakhshari”.

Keywords: Maqāmāt Al- Zamakhshari, Textual Analysis, Cohesion.

* Department of Arabic Language for International Communication, Faculty of Languages and Management, International Islamic University, Malaysia; and Department of Arabic Language and Its Literature Faculty of Arts, The University of Jordan. Received on 3/5/2016 and Accepted for Publication on 28/6/2016.